مصر القديمة والغزو الفارسي الأول*

أ. أيمن حسين مسعود التويب**

* تاريخ التسليم: ٢٥/ ٣/ ٢٠١٣م، تاريخ القبول: ٢١/ ٢/ ٢٠١٢م.
** أستاذ مساعد/ قسم التاريخ/ جامعة الفاتح/ طرابلس/ ليبيا.

ملخص:

لعل أهمية مصر التاريخية والجغرافية عبر العصور المختلفة، جعلها مرتعاً خصباً للباحثين من اجل الخوض في عباب العصور المختلفة التي مرت بها؛ ولعله من المهم أن تكون الفترة الفارسية التي وقعت تحتها مصر القديمة في الفترة من ٥٢٥ق. م، وحتى ٣٣١ق. م، من أهم تلك الفترات قاطبة؛ لأنها تمثل فترة احتلال طويلة إذا ما قورنت بغيرها من الفترات– هذا إذا ما استثنينا فترة الهكسوس– وفي هذا مدعاة لكشف بعض خبايا تلك الفترة التاريخية، وبناءً عليه حاول الباحث أن يعطي صورة بسيطة عن مراحل الفترة المذكورة؛ لأن فترة قرنين من الزمان تقريباً لابد أن تكون مليئة بالأحداث التاريخية التي أسهمت في تشكيل فسيفسائية المجتمع المصري القديم، حيث أثَّر ذلك إما سلباً أو إيجاباً– حسب اعتقاد الكثيرين– في الجانب الحضاري للحضارة المصرية القديمة، وكانت جزءا لا يتجزأ من سلسلة الحلقات الحضارية للحضارة الفرعونية.

Abstract:

The importance of Egypt historically and geographically through different ages, makes it a fertile ground for researchers to go into the swirl of different ages that Egypt has passed by. It is important to note that the Persian period which ancient Egypt underwent from 525 BC. , until 331 BC. , is considered the most important of those periods as a whole; because it represents a long period of occupation when compared with other periods- excluding the period of the Hyksos. Thus, there is a need to uncover some of the mysteries of that historical period. This makes the researcher try to give even a simple picture about the stages of that period; because it is filled with historical events that contributed to the formation of the mosaic of the ancient Egyptian society. The impact of this period whether positive or negative- as many believe – was in the cultural side of the ancient Egyptian civilization, and was an integral part of the cultural series of the Pharaonic civilization.

مقدمة:

ضمت الإمبراطورية الفارسية بين أرجائها ولايات على مساحات شاسعة، وتطلب ذلك اتباع سياسة تهدف إلى إحكام السيطرة عليها، وقد نجح الفرس في تعزيز تواجدهم وتوسيع رقعة إمبراطوريتهم باحتلال مصر، وما ترتب عليه من تداعيات، كان لها بالغ الأثر في تحديد ورسم معالم تاريخ وحضارة مصر القديمة.

يركز البحث على طرح موضوع مصر القديمة والغزو الفارسي الأول من خلال إبراز دور الملك قورش في تأسيس الإمبراطورية الفارسية، مروراً بخلفائه وسيطرتهم على مصر، وصولاً لفترة الاستقلال المصري، والوقوف على أسباب ضعف الإمبراطورية الفارسية وانهيارها.

لمحة جغرافية وتاريخية عن بلاد فارس:

إن إبراز الجانب الجغرافي والتاريخي لبلاد فارس يعدُّ من مستلزمات البحث الأساسية، فكلا الجانبين يعدَّان عاملين مساعدين على البحث وكشف خفايا المنطقة، ذلك أن القسم الأكبر من بلاد فارس والمعروفة حالياً بإيران أرض واسعة تحيط بها سلاسل من الجبال الشاهقة الارتفاع من كل جانب، فنجد من الناحية الشرقية ثلاثة جبال على خط متواز تعرف بجبال القوقاز (*) أما من الناحية الشمالية فنجد جبال البرزالتي تطوقها كالسلسلةً من الشرق إلى الغرب، غير أنها تنفصل في الغرب عن جبال أرمينيا، بمحاذاة بحر الخرز جنوباً عن طريق جبل بابا لتتواصل في امتدادها حتى تبلغ بلاد الهند، لتتصل بجبال الهيمالايا المعروفة بارتفاعاتها الشاهقة، وتمثل جبال كردستان الحدود الغربية لبلاد فارس، وتعرف هذه الجبال عند المؤرخين والجغرافيين الأوربيين باسم جبال زاجروس والتي تمتد من الشمال إلى الجنوب، ثم تنحني جنوباً وشرقاً حتى تصل بحر عُمان وتبلغ مساحة الهضبة الإيرانية حوالي مليونين وستمائة ألف كم٢ (٢٦٠٠٠٠٠ كم٢) ، وتمثل مساحة إيران الحالية حوالي ثلاثة وستين في المئة (٦٣٪) من تلك المساحة أي بما يعادل الثلثين [١] .

لقد دلت الأبحاث الجيولوجية على أن إيران كانت خلال العصور الجيولوجية الجليدية في أوربا كثيرة المسطحات المائية، ذلك أنها تعرضت لسقوط متوافر للأمطار بحيث أن كثيراً من جهاتها بما في ذلك بعض الوديان العليا كانت تحت سطح الماء، ولم تتعرض للجفاف إلا فيما بين الألف الخامسة عشرة والألف العاشرة ق. م، أي أن التصحر أخذ

يزحف على هذه الأرض بصورة تدريجية لأن فترة خمسة آلاف سنة لم تكن بالمدة اليسيرة، وبالتالي فإن انكماش السطوح المائية أدى بالإنسان في تلك المنطقة إلى الانتقال إلى حيث ينتهي الانكماش، وتتكرر هذه العملية كلما عادت المسطحات للانكماش مرة أخرى [٢].

تقع الهضبة الإيرانية بين خطي عرض ٢٤- ٤٢ شمالاً، وهذا الموقع لا يؤدي إلى اختلاف واضح في المناخ بين مناطقها، غير أن الارتفاع المتفاوت بين أجزائها سواء المحاذية لشواطئ البحار والبحيرات، وأعالي الجبال وتلك المحاذية للصحراء، يفسر لنا بوضوح وجود تباين كبير في المناخ بين مناطقها المختلفة [٣].

أدت عوامل الجفاف والانكماش سالفة الذكر إلى أن تقترب العناصر البشرية الموجودة في الهضبة وتحتك بجيرانها، وبخاصة أصحاب الحضارات المؤثرة في تلك الفترة إشارة منا إلى حضارة العراق القديم، وبحكم وقوع المنطقة في طريق الهجرات البشرية المنحدرة من المناطق الرعوية والجبلية، كان لذلك أبلغ الأثر في النمط الثقافي لسكان هذه المنطقة، ليس ذلك فحسب بل إن الصراع الدائم بين بلاد ما بين النهرين من جهة وأرمينيا من جهة أخرى، والذي كان سببه وجود بعض الموارد مثل الرصاص المتوفر في أرمينيا، أثر هذا الصراع على المنطقة الإيرانية؛ لأنها مثلت حلقة وصل بين المنطقتين، وبالتالي منطقة عبور للحصول على مثل هذه الموارد [٤].

ويُعتقد أنه في خلال الألف الثانية ق. م انطلقت هجرة عظيمة تشكلت من عناصر هندوأوربية من مناطق جنوب روسيا الحالية، أو ما يعرف بالسهول الأوراسية، وقد تشعبت هذه الهجرة إلى قسمين: الأولى اتجهت غرباً، فدارت حول البحر الأسود وعبرت البوسفور، ثم وصلت إلى أسيا الصغرى، أما الثانية فقد اتجهت شرقاً، ودارت حول بحر قزوين وعبرت القوقاز، ووصلت إلى الفرات، فاندمجت بالحوريين ذوي الأصول الآسيوية، وتكونت بذلك مملكة ميتاني (*) ، واخترقت هذه الجماعات جبال زاجروس جنوباً، وكونوا أقلية اتسمت بالنشاط والحيوية، طغى نفوذها بعد ذلك على السكان الأصليين، وقد عرفت هذه المجموعة بعد ذلك باسم الهندوإيرانية، والتي تركت آثاراً دلت على أنهم من ذوي الرؤوس العريضة الذين انتشروا في شبه الجزيرة الإيطالية وغرب أوربا [٥] ، ومن أبرز هذه الجماعات الهندوإيرانية (الميديون- والفرس الأخمينيون) ، وهكذا نزلت الجماعة الأولى الميدية في غرب هضبة إيران وأسسوا- كما يذكر الباحثون- دولة قصيرة الأجل عرفت بالدولة الميدية في حوالي ٧٠٨ق. م [٦] ، في حين نزلت الجماعة الثانية الأخمينية في الجزء الجنوبي الغربي من الهضبة الإيرانية، وعملت على تأسيس دولة وصلت إلى درجة كبيرة في الاتساع مما أهَّلها لأن تُصبح من أقوى الإمبراطوريات على الإطلاق في الشرق الأدنى في حوالي ٥٣٠ق. م [٧].

ويُعد من الثابت لدى معظم الباحثين أن التاريخ الحقيقي للإمبراطورية التي أسسها الأخمينيون بحد سيوفهم يبدأ خلال الثلث الثاني من الألف الأول ق. م وطول عمر هذه الإمبراطورية يُعد مؤشراً على وجود سياسة تتميز بالمهارة في فن الحكم من قبل أكاسرتها[٨]. ولأول مرة في تاريخ العالم القديم نجد أن الإمبراطورية الإخمينية ضمت بين أرجائها عناصر عدة من المدنيات القديمة، حيث ضمت كلاً من بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر وآسيا الصغرى وجزءاً من بلاد الهند فضلاً عن مدن وجزر إغريقية [٩] .

يذكر ول ديورانت (W. Durant) في كتابه (قصة الحضارة) : «أنه عندما بلغت الإمبراطورية الفارسية أوج أمجادها في أيام الملك داريوس الأول (٥٢٢– ٤٨٦ق. م) كانت قد شملت عشرين ولاية أو إدارة هي: (مصر، وفلسطين، وسوريا، وفينيقيا، وليديا، وفريجية، وأيونيا، وقبادوش، وقليقية، وأرمينية، وأشور، وقفقاسية، وبابل، وميديا، وفارس، وبلاد أفغانستان وبلوخستان، والقسم الممتد من الهند غرب نهر السند، وأقاليم المسيحية) ، وغيرها من قبائل آسيا الوسطى» [١٠] ، وبالتالي يتبين أنه لم يتسن لأي إمبراطورية أو قوة أخرى أن تحكم مثل هذه الرقعة الواسعة وقتها. وقد تمتعت بعض الولايات التابعة للإمبراطورية الفارسية بشيء من الحرية بحيث سُمح لبعضها باستعمال لغتها الخاصة بها مثل: بابل، وسُمح لبعضها الآخر بممارسة عاداتها وتقاليدها وديانتها، واحتفظ بعضها باستعمال عملتها مثل ليديا التي أخذ الفرس الأخمينيون العملة عنها، بل تعدى ذلك في بعض الأحيان إلى الإبقاء على الأسر الحاكمة، ويتجلى ذلك واضحاً بخضوع قورينائية وبرقة للفرس، فظل العرش متوارثاً بين باتوس (Batuos) وأركسيلاوس (Arxelaws) ، وكل ذلك جعل بعض الولايات تشعر بأنها أفضل حالاً، وهي تحت حكم أجنبي من خضوعها لملوكهم المحليين [١١] .

وقد كانت الأمور السياسية والعسكرية تمثل الهاجس الأعظم لدى الفرس، بينما لم يهتموا كثيراً بالجوانب الاقتصادية، كما كان يستحق الأمر منهم، وقد أثر ذلك مباشرةً على استقرار أوضاع المملكة إذ أن ملوك الإمبراطورية الفارسية أرادوا تثبيت دعائم دولتهم بالتوسع، وضم المقاطعات، ثم بعد ذلك استغلالها اقتصادياً، وبالتالي فإننا لا نعني أنهم لم يهتموا بالاقتصاد فالقوة تجلب الاقتصاد، وتجعل الدولة أو الإمبراطورية من الثراء ما لا يمكن وصفه، وقد كان على رأس تلك القوة العسكرية أو النظام العسكري الملك، ويسمى أوخشترا بمعنى المحارب، وهو لقب إن دل على شيء، فعلى منشأ الملكية الفارسية العسكري[١٢].

ولم يكن الملك ليستطيع وحده أن يدير كل الرقعة الجغرافية المتمثلة في الإمبراطورية المترامية الأطراف، لذلك استعان بالولاة لكي يكونوا على رأس كل ولاية، أو ما يسمى عندهم

بـ (الترابة) ، وعُرف الوالي باسم خشريوان بمعنى حامي أو حارس المملكة، وكان غالباً ما يُختار من الطبقة النبيلة، وكانوا يُعيَّنون مدى الحياة، فأصبح الواحد منهم يمثل ملكاً في ولايته، يُعامل معاملة الملوك، وكانت له سلطة مطلقة، يُعاونه اثنان من موظفي الإدارة المركزية، بحيث تضمن الحكومة عدم تركز السلطة في يد فرد واحد، كذلك عملت الحكومة المركزية على إنشاء شبكة طرق تربط بين ولايات الإمبراطورية، مما ساعد على انتعاش التجارة والاقتصاد بعض الشيء وتسهيل الأمور البريدية (١٣) .

لقد صور لنا ول ديورانت أوصاف الفرس على نحو: «أنهم كانوا أجمل شعوب الزمن القديم، فقد دلت آثارهم على أنهم شعب معتدل القامات، قوي الأجسام نتيجة حياتهم الجبلية، طباعهم رقيقة، من ذوي الملامح المتناسقة، شم الأنوف كاليونان، تظهر في وجوههم سمات النبل والروعة، لبسوا الملابس الميدية، ثم تحلوا بعد ذلك بالحلي الميدية أيضاً (١٤) .

لم يكن للفرس الأخمينيون من الفنون إلا ما أتى به الأجانب من البلاد الأخرى، وهم يتفقون في ذلك مع الرومان، غير أنهم كانوا ذواقين للفن وجمال الأشياء، ولم يكن لهم طراز خاص بهم إلا في بعض جوانب العمارة، حيث نجدهم على أيام قورش (٥٥٩– ٥٣٦ق. م) وداريوس الأول (٥٢٢– ٤٨٦ق. م) وخشيارشاي الأول (٤٨٥– ٤٦٤ق. م) قد شيدوا مقابراً وقصوراً لم يتسن للباحثين الكشف إلا عن قليلها (١٥) .

والكم القليل الذي كُشف من فنون الفرس الأخمينيون يدل دلالة واضحة على أنه كان ملكياً بحتاً، حيث أظهر الملوك ما كان لهم من قوة وسلطان عن طريق ما نقشوه على جدران قبورهم الصخرية، ويظهر ذلك واضحاً جلياً في نقش (روستام) و (برسيبوليس) ، وكذلك على السلالم والبوابات الخاصة بالقصور، مثل نقوش (بازارجاد) و (برسيبوليس) (١٦) .

أما فيما يخص العملة المسكوكة فلم تُتداول إلا ابتداءً من عهد داريوس الأول (٥٢٢– ٤٨٦ق. م) إذ إنه لم يوجد أي نظام نقدي يقوم على معادن متعددة من الذهب والفضة، إلا في عهد كروسوس ملك ليديا في حوالي ٥٤٢ق. م بحيث انتشر هذا النظام من ليديا إلى بقية أنحاء آسيا الصغرى فاقتبسه داريوس، وبالتالي انتشرت هذه العملة في أنحاء الإمبراطورية الفارسية عامة وأعطوها اسم (الدريك) بمعنى الذهب، وكان عيار هذه العملة عالياً جداً، لأن داريوس كان مولعاً بأن تكون عملته من الذهب الخالص (١٧) .

أما اللغة التي تكلم بها الفرس فيمكن القول بأنها فارسية لها علاقة باللغة السنسكريتية (*) حتى أن بعض يظن بأنهما كانتا لهجتين للغة واحدة قديمة جداً، وأنهما واللغة الإنجليزية فروع من أصل لغة واحدة، هذا وقد تطورت اللغة الفارسية القديمة

وانقسمت إلى فرعين هما: الزندية لغة الزند والبهلوية وهي لغة هندية اشتقت منها اللغة الفارسية الحالية، غير أن الفرس استخدموا في نقوشهم الخط المسماري، واستخدموا الحروف الهجائية الآرامية في كتابه وثائقهم، وعملوا على تبسيط مقاطع اللغة البابلية الثقيلة الصعبة، فقاموا بتقليصها من ثلثمائة رمز إلى ست وثلاثين علامة تبدلت شيئاً فشيئاً من مقاطع حروف حتى صارت حروفاً هجائية مسمارية، ومن الجدير التنويه إلى أن الكتابة عند الفرس لا تعدو كونها أسلوباً يعبر به الفارسي عن مدى مشاغله الدنيوية ولهوه وحبه للنساء، فاستخدموها للتعبير عن الحب والحرب والصيد، ولم يحاول الفرس الإخمينيون أن ينشئوا أدباً خاصاً بهم [١٨].

وقد اتحد الفرس الإخمينيون والميديون تحت تاج واحد ضم إمبراطورية واسعة النطاق شملت حضارات عريقة منذ القدم، لم يتجاهل حكام فارسيون أمثال قورش وداريوس مكانتها، فقدسوا عباداتها واهتموا بأصول فنونها [١٩]. ومن تلك الحضارات التي انضوت تحت لواء الإمبراطورية الإخمينية الحضارة الفرعونية، التي يؤيد الباحثين أن لها صلات ثقافية وحضارية بالحضارة الفارسية الأخمينية، حتى أنهم لم يستطيعوا تحديد بداياتها، ذلك أن هاتين الحضارتين كانتا تمثلان أهم الحضارات القديمة، وحين قويت شوكت الفرس الإخمينيون رأوا بأنه لزاماً عليهم أن يتسعوا ليشمل توسعهم مصر القديمة، وتصبح بذلك ولاية (سترابة) فارسية [٢٠].

وبالعودة إلى ما ذكرناه بخصوص الاتحاد الميدي الإخميني يجدر بنا إعطاء إشارات تنوه إلى أن القلة الإخمينية استطاعت بعد فترة وجيزة أن تنظم صفوفها وتسيطر على الإقليم الفارسي بأسره، بعد أن كان أفرادها منتشرين في سهول عيلام باعتبارهم حكاماً من قبل الميديين، ثم جاء الاتحاد بين الطرفين، وأسِّس الجيش الموحد عام (٥٥٣– ٥٤٢ق. م) [٢١].

قورش الفارسي وفترة ما قبل الغزو الفارسي الاول لمصر:

تمكن الملك الفارسي قورش من تأسيس الإمبراطورية الفارسية بالاعتماد على قيادة سياسية وعسكرية محنكة، واستطاع توحيد الشعبين المتمركزين في الشمال الغربي والجنوب الشرقي من الهضبة الإيرانية، واتخذ من هكمتانة (همذان) عاصمة له، وامتد نفوذ جيوشه حتى بلغ أذربيجان وشواطئ بحر قزوين، وخاض بين الحين والآخر حروباً مع جيرانه الآشوريين، ليبلغ أوج توسعه عندما قهر نينوى العاصمة الآشورية بعدما تحالفت مع بابل في حوالي ٥٥٠ق.م [٢٢].

وقد أوضحت النقوش الآشورية أن الفرس عاشوا مدة تحت حكم سلاطين نينوى، وبسيطرت الفرس الميديين خضع الإخمينيون لهم وأجبروهم على دفع الجزية، مما كان له

بالغ الأثر في انتفاضة الفرس الإخمينيين (الهخامنيشون) (*) عليهم [٢٣].

عندما أضحى قورش سيد فارس وميديا في آن واحد، ارتعدت آسيا خوفاً لهذا الخبر، الأمر الذي أجبر ملوك المنطقة وحكامها إلى الإسراع في عقد تحالف يضم كلاً من ليديا ومصر وبابل وإسبرطة، غير أن ذلك التحالف لم يقِ أصحابه طموح قورش الذي أسرع بالانقضاض على ليديا فانتزعها من يد ملكها كروسوس (Croisus) في عام ٥٤٨ ق. م وكان كروسوس من أبرز ملوك زمانه، وأشدهم بأساً وأكثرهم ولاء للإغريق، فلما ظفر به قورش أخذه أسيراً قبل أن يتمكن حلفاؤه من النهوض لنجدته [٢٤].

اتجه قورش بعد ذلك النصر شرقاً لأنه كان يخشى غارة جديدة يحتمل أن يقوم بها مهاجرون من الآريين، وللمحافظة على حدوده خرب في طريقه كل ما قابله من بلاد آسيا العليا، وبعد أن أمن حدوده الشرقية اتجه إلى بابل فاستولى عليها بشيء من اليسر في عام ٥٣٩ ق. م، وأصبح بالتالي السيد الأوحد لآسيا السفلى دون منازع، وظل يستمتع بتلك السيادة عشر سنوات [٢٥].

ولعل من المفيد أن نذكر بأن هذا الملك الفارسي- بالرغم من قوته وجبروته- قدم على مر التاريخ أعمالاً أثارت اهتمام الدارسين فحاولوا إبرازها ولو بالشيء اليسير، فيذكر سليم واكيم بأن الحرية الدينية تعدّ أكبر هدية قدمها قورش للشرق الذي طالما بحث عنها، ويذكر هذا الباحث بأن هيرودوت لم يحدثنا عن هذه الهدية ولاكسنوفون (Ksnofon) ولاسترابون، ولكن الكتاب المقدس (التوراة) جاء فيه ذكر لهذه الهدية، ويُعلق قائلاً: "لولا الكتاب المقدس لبقى الناس يجهلون ما أسدته إيران الأخمينية إلى الإنسان والشعوب" [٢٦].

كشفت التنقيبات في منطقة أور في بلاد ما بين النهرين عن اسطوانة من الطين المطبوخ، تحمل كتابات باللغة البابلية تبين بعد ترجمتها أنها عبارة عن إعلان لحرية الشعوب أصدره الملك قورش بعد الانتصار على بابل وقد نصت الوثيقة على ما يأتي: «أنا قورش... عندما أتيت إلى بابل وأنا في كامل قوتي، أقمت حكومتي فيها بين الأفراح والابتهاجات والاحتفالات، وكانت الجيوش التي لا يحصى عدد أفرادها، لا تلاقي في المدينة أية مقاومة، ولم أسمح لأي شخص أن ينشر الخوف والرعب في أرض سومر وأكاد، لقد رفعت... انحلال أهل بابل السيئ وعمرت بيوتهم المخربة ووضعت حداً لسوء حالهم وأعدت جميع الناس من... إلى أشور وشوش وأكاد وأشنونا ومدن زمبان وميرنو ودور حتى أرض كميوتيو ومدن ما وراء دجلة التي تعرضت معابدهم المقدسة للدمار، وكذلك الآلهة التي كانت تقيم بينهم، أعدتهم جميعاً إلى أماكن سكناهم التي جمعت جميع ساكنيها وأعدت لهم منازلهم» [٢٧].

بالرغم من كل ما ذُكر نجد بعض الباحثين يظهرون سلبيات الغزو الفارسي على المناطق المغزوة، فيذكر رفاعة بدوي في كتابه: (خطبة بداية القدماء وهداية الحكماء) : «أن غزوات قورش جلبت على الأهالي المصائب بدلاً من الحياة السعيدة الهادئة، بحيث أصبح العجم أصحاب السيادة والثروة، ولم يقتصر الفساد على هؤلاء، بل أصاب الملك نفسه بحيث أصبح يبالغ في الرفاهية من أطعمة وملابس من أذربيجان، وأهمل تربية أولاده، وقد كان الحكم مطلقاً بحيث يعمل الملك بإرادته ورأيه لا بشريعة ولا بقانون، حيث كان يرى أنه يستحق التصرف بحكمه في أحوال رعيته وأعمارهم حسب هواه فيعاملهم معاملة العبيد الحقيقيين» [٢٨] .

ويعتقد بعض الباحثين أن قورش الكبير هو (ذو القرنين) المذكور في القرآن الكريم، وليس الإسكندر المقدوني، استدلالاً بأن الإسكندر الأكبر لا تُعرف له فتوحات بالمغرب وأنه لم يبنِ سداً ولم يكن يؤمن بالله ولم يتصف بالعدل والرحمة مع المغلوبين [٢٩] ، قال تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً][٣٠] .

واستند أحد الباحثين نقلاً عن هيرودوت بأن قورش انتصرت عليه (توميريس) (Tomeres) ملكة المساجيت فقتلته في واقعة، وأخذت رأسه وغمستها في إناء ممتلئ بالدم وقالت له: "اشرب من هذا حيث إنك كنت دائماً ظمآن لدم الناس" [٣١] . وهي إشارة إلى أن قورش أُتهم من قبل بعض الباحثين والمؤرخين بأنه صاحب نزعة دموية بالرغم من كل ما ذكر عن أخلاقه الحميدة، ويذكر الباحث نفسه في موضع آخر بأن زنفون (Znfon) يخالف هذا الرأي حيث قال: بأن قورش مات حتف أنفه على فراشه بعدما حكم حكماً فاخراً ثلاثين سنة [٣٢] .

ويذكر خفاجة بأن كيتاسيوس (Ketasius) (*) قد أدلى بدلوه في مسألة وفاة قورش وذكر بأنه مات من جرح في المعركة التي دارت رحاها بينه وبين رُحل المغول تحت إمرة ملكتهم (توميروس) (Tomyrous) [٣٣] . بينما يذكر ديودور الصقلي (Deodorus) أنه أخذ أسيراً ثم مات مصلوباً [٣٤] ونتيجة لعدم وفرة الكتابات والدلالات الواضحة في مسألة وفاة قورش، فإنه لا يمكن ترجيح أحد الآراء السالفة الذكر على الآراء الأخرى.

إن من أعظم أعمال قورش فتوحاته التي امتدت حتى تخوم الصين وما وراء نهر سيحون، وبالتالي كان قائداً مرموقاً في أعماله متصفاً بالتنظيم الإداري والتسامح الديني والدنيوي، عادلاً، قيل أنه أول من نادى بحقوق الإنسان لهذا كانوا يلقبونه في بلاده وخارجها بالملك الوالد، وقد حفظ له العظماء قدرهُ، إذ يقال بأن الإسكندر ألأكبر (٣٣٥–٣٢٣ق. م) حين فتح بلاد فارس وقف على قبر قورش (*) بالقرب من إصطخي، وذكره بما يليق بمقامه من التكريم والتعظيم [٣٥] .

الإمبراطورية الفارسية في عهد خلفاء قورش:

١ـ الملك قمبيز ومراحل الغزو الأولى:

يُعد قمبيز (٥٢٨– ٥٢٢ق. م) الوريث الشرعي للملك قورش، وأهم ما يُنسب إليه أن مصر القديمة وقعت تحت لواء الإمبراطورية الفارسية لأول مرة في التاريخ في عهده واستطاع بذلك تأسيس أسرة فارسية حاكمة في مصر القديمة ابتداءً من الأسرة السابعة والعشرين وانتهاءً بالأسرة الواحدة والثلاثين، وربما كان ذلك حلماً راود أباه قورش [٣٦] . وذكر بعض الباحثين أوصاف قمبيز بأنه كان دموياً حريصاً على سلطته، فقد حملته غيرته وخوفه عليها لأن يقتل أخاه سمرديس، وقد كان نابذاً للقوانين، فتزوج شقيقته، واستشار القضاة في هذا الزواج الفاحش فأجابوه من الخوف بأن القانون يرخص للملوك جميع ما يريدونه [٣٧] .

كان قمبيز يجهل أحوال مصر الداخلية لذلك كان يهاب غزوها، كما كان يخشى الصحراء ومسالكها الوعرة المجذبة، لأنه لم يعتد القتال إلا في الأرض الزراعية المفتوحة، لذلك اعتمد في دخوله لمصر على بعض المرتزقة الذين عملوا في البلاط الفرعوني أو في الجيش المصري أهمهم فانيس (Vanis) أحد القادة اليونان في الجيش المصري وقد عُرف باسم أوجاحاررسن (Udjaharresne) (**) هذا الذي كشف لقمبيز عن كل ما كان يدور في مصر القديمة من صراع بين الحكومة المصرية والجاليات الإغريقية، فأطلعه على إمكانياتها الدفاعية، وبين له المخاطر التي سيلقاها عندما يعبر الطرق الصحراوية المؤدية إلى مصر، وهو من دله إلى اللجوء إلى البدو الرحل الذين يعرفون مسالك الصحراء، فأجزل لهم العطاء حتى يدلوه على أقصر الطرق وآمنها [٣٨] .

عمل قمبيز على تجريد الملك المصري أحمس الثاني (٥٨٩– ٥٢٦ق. م) من حلفائه فتحالف مع كل من ملك جزيرة ساموس، وملك فينيقيا، كذلك حصل على تأييد البدو في خليج السويس، كما كان لهروب بعض القادة المرتزقة في الجيش الفرعوني وتخليهم عن أحمس الثاني والانضمام إلى الصفوف الفارسية أبلغ الأثر في ضعف الصفوف الفرعونية، فنجد مثلاً هاليكارناسوس (Halekarnasus) وهو أحد قادة الجنود المرتزقة، التحق بجيش قمبيز واطلعه على كل الترتيبات التي هيأها جيش الفراعنة لتفادي الهزيمة أمام الفرس، كذلك نجد شريحة من أعيان المجتمع المصري القديم كانوا على استعداد لإسداء الخدمات إلى المحتل الفارسي [٣٩] .

التقت الجيوش الفارسية بمن انضم إليها مع الجيوش المصرية عام ٥٢٥ق. م عند منطقة بلوزيوم (Pelusium) الفرما (*) على الحدود الشمالية الشرقية لمصر القديمة، وكانت الغلبة في ذلك اليوم للجيش الفارسي بمساعدة القبطان أوجاحاررسن الذي مهد للاستيلاء على المدينة الإستراتيجية سايس، ثم حوصرت هيلوبولس (Helupoles) حتى استسلمت، وفر الفرعون بسماتيك الثالث (٥٢٦– ٥٢٥ق. م) من أرض المعركة واعتصم في مدينة منف، غير أن قمبيز سرعان ما استولى عليها، وقام بأسره، وأجمع معظم المؤرخين ومنهم هيرودوت، بأن بسماتيك عومل معاملة حسنة من قبل قمبيز، لولا أنه قام بتدبير مكيدة في الأسر فقُتل وقيل انتحر [٤٠] . وعندما غزا قمبيز مصر وضع أمام جيشه صفاً كبيراً من الحيوانات التي كانت معبودة لدى المصريين، فامتنع المصريون عن الدفاع عن أنفسهم مخافة أن يُصيبوا شيئاً من تلك الحيوانات لأنها مقدسة وترمز للعديد من آلهتهم[٤١].

ويرى بعض الباحثين أن من أسباب سقوط مدينة منف التي لجأ إليها الملك بسماتيك الثالث بعد معركة بلوزيوم ٥٢٥ق. م قيام أهل برقة على الحدود الغربية لمصر بإرسال وفد إلى قمبيز يعلمه خضوعهم له، وبذلك أحبط هذا العمل الروح المعنوية لدى المدافعين عن مدينة منف وبالتالي آلت إلى السقوط سريعاً [٤٢] .

ويبدو أن المقاومة المصرية في تلك المعركة كانت موجودة، فقد رأى هيرودوت آثارها بعد نحو ثلاثة أرباع القرن من وقوعها، فلمس بإحساسه التاريخي ما حدث فيها، وسجل هيرودوت ملاحظة طريفة ذكر فيها: «أنه رأى جماجم الفرس في ناحية وجماجم المصريين في ناحية أخرى عند مصب نهر بلوزيوم، ولاحظ أن جمجمة الفارسي يمكن أن تصدعها بحصاة، على الرغم مما هو معروف عن ضخامة الرأس الآرية، بينما لا تنكسر جمجمة المصري إلا بضربة حجر» [٤٣] .

لم يكتف قمبيز بتأسيس أسرة فارسية حاكمة في مصر، بل أراد أن يستولي على واحة سيوه ويحطم معبد آمون وأن يعمل على ضم المملكة الكوشية، وأن يستولى على قرطاجة. كما جهز قمبيز حملة كبيرة لإرسالها إلى واحة سيوه، فعبرت الكثبان الصحراوية دون أن يُعمل حساباً للاقتصاد في استخدام موارد المياه والمؤن، ففتكت المجاعة والعواصف الرملية بهذه الحملة في الطريق، قبل الوصول إلى الواحة، وهذا العمل يُعد من الأخطاء التي لا تُغتفر لقمبيز عبر التاريخ القديم [٤٤] . ويذكر الباحث هاليت أن النتيجة البعيدة لحملة قمبيز على واحة سيوه هي وصول الجمل إلى شمال أفريقيا، إذ يقال بأن قمبيز استأجر الإبل من عرب شبه الجزيرة، وبالتالي سجل أول وصول للجمل إلى مصر في

العصر التاريخي، ومنها إلى الواحة الخارجة حيث استخدمهما في نقل الجيوش والأمتعة في الحملة ضد واحة سيوه [٤٥].

ولئن أكد هيرودوت بأن الملك قمبيز قام بقتل العجل أبيس [٤٦]، إلا أن الحفريات التي أجريت في السرابيوم الخاص بعجول أبيس بممفيس، كشفت عن تابوت لأحد عجول أبيس تنفي كل ما جاء به هيرودوت، فقد نُقش على هذا التابوت المصنوع من الجرانيت الأشهب النص الآتي: «هورس سماتوي، ملك مصر العليا والسفلى، مس توى رع، ابن رع- قمبيز- ليته يعيش إلى الأبد، صنع لوالده أبيس أوزاريس، تابوتاً كبيراً من الجرانيت، الذي كرسه من أجله ملك مصر العليا والسفلى، مس توى رع، ابن رع، قمبيز، مانح الحياة كلها، والثبات كله، والنجاح كله، والعافية كلها، والسعادة كلها، وقد تُوج ملك على مصر العليا والسفلى إلى الأبد» [٤٧]، ويمثل هذا النص صورة طبق الأصل لما كان يفعله الفراعنة في مصر القديمة في مراسم دفن العجل أبيس.

فيما يخص حملة قمبيز على بلاد النوبة (كوش) وغزوه لها، فقد قاد بنفسه جيشاً وصعد به النيل ليضم منطقة نباتا التي خرج منها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، وقد كان قمبيز طامعاً في ثورة هذه المنطقة، غير أن هذه الحملة قد أنهكتها المتاعب أيضاً بسبب قلة المؤن فعدل قمبيز عن مشروعه هذا، وقيل لأنه ربما لاقى هزيمة كبيرة على يد ملوك نباتا [٤٨].

أما فيما يتعلق بحملة قمبيز على قرطاجة فقد انتهت بدون نتائج، ذلك أن الفينيقيين أبو أن يقاتلوا أبناء بلدهم، وبالتالي سُجلت هذه الحملة ضمن حملات قمبيز الفاشلة [٤٩]. مما اضطره إلى تغيير سياسته تجاه مصر؛ فعامل المصريين بكل قسوة، ويقال بأنه أصيب في عقله، وذلك ما يبرر هذه التصرفات، حيث كره كل المصريين واحتقر معبوداتهم الدينية [٥٠].

إن إدراك حاكم قورينا الهليني (آركسيلاوس الثالث) (Arxelaws) (٥٢٧- ٥١٩ق.م) بأن السيطرة الفارسية على قورينا وبرقة هي تحصيل حاصل، جعله يفكر بالطريقة التي يستطيع بها أن يمتص العنفوان الفارسي حتى يضمن سلامته وسلامة ممتلكاته في قورينا، وربما حتى منصبه السياسي في تلك الفترة، وبالتالي سارع آركسيلاوس بإعلان التبعية للفرس مباشرةً عقب فتح مصر حتى يأمن شرهم، وربما تلك التبعية لم تظهر في ذلك الوقت نتيجة الظروف التي مر بها قمبيز، وأُجبر بعد ذلك آركسيلاوس على دفع جزية سنوية مقدارها خمسمائة مناً فضية (×) وغض بذلك قمبيز بصره، وصرفه بعيداً عن الحل العسكري، رغم إدراكه أن آركسيلاوس الثالث كان يطمح في أن يُنصِّب نفسه طاغية على مدينة قوريني [٥١].

وفي أواخر أيام قمبيز ظهر شخص يدعى جاوماتا الماجي، وأحدث زوبعة في بلاد فارس مستغلاً الشبه الكبير بينه وبين أخ قمبيز المدعو سرمديس الذي قتله قمبيز في بداية حكمه، فانتحل شخصيته، ولاقى في فارس كثيراً من الدعم، كذلك في بعض المقاطعات الفارسية وبخاصة في مصر، في دفنه ومنف والفنتين (أسوان) ، وفي مكان لم يتحدد ربما كان في شمال فلسطين عند إكباتانا (همذان) على مقربة من جبل الكرمل، وربما عند دمشق باجتهاد بعض الباحثين، مات قمبيز في عام ٥٢٢ ق. م وقيل مات متأثراً بجرح أحدثه بنفسه في إحدى نوبات الصرع التي كثيراً ما كانت تنتابه، وهناك من يقول بأنه مات منتحراً، والمهم أن داريوس بن هستاسبس (Darius) نجح في قتل جاوماتا الماجي في عام ٥٢٢ق. م، وأصبح ملكاً على فارس في السنة نفسها، وبذلك انتقل العرش الفارسي من فرع قمبيز بن قورش إلى فرع آخر [٥٢] .

٢ـ داريوس الأول:

تولى الملك داريوس (٥٢٢– ٤٨٦ ق. م) مقاليد الحكم صغيراً، حتى أنه يُذكر بأن والده وجده كانا ما زالا على قيد الحياة عند توليه الحكم، وبعد أن ثبت حكمه للإمبراطورية الفارسية توجه على رأس حملة إلى ممفيس مقر العجل أبيس في مصر، أي أنه اتجه إلى مصر منذ بداية توليه الحكم، وهذا دليل على مكانة مصر الإستراتيجية لدى الفرس، ولم يلق داريوس أي مقاومة تذكر، ووجد الأهالي يرفعون شعار الحزن والحداد على العجل أبيس، فأمر داريوس بجزيل العطاء لمن يعثر على عجل أبيس جديد، وتلك كانت سياسة حكيمة استمال بها قلوب المصريين، وقام داريوس بدفن العجل أبيس على الطريقة الفرعونية عام ٥١٨ق. م [٥٣] .

أما في مجال التشريع فقد سن داريوس شريعة مماثلة لشريعة حمورابي، ذكر فيها ما يلي: «تحت رعاية أهورمزدا [إله الفرس]... إني أحب الحق وأكره كل ما يقر الكذب، إنني لا أغضب وأكظم غضبي، وأنني لا أثق في كل من يتحدث ضد العدالة... » [٥٤] . ويذكر ديودور الصقلي بأن داريوس كان من بين أكبر من شّرعوا القانون في مصر [٥٥] .

وفي موضع آخر كتب داريوس عام ٥١٨ق. م بعد عودته إلى فارس إلى واليه في مصر أرياندس (Aryandes) قائلاً: "دعهم يحضروا إلي حكماء الرجال من بين المحاربين والكهنة، وكُتّاب مصر، الذين اجتمعوا في دور العبادة، ودعهم يكتبوا الشرائع الأولى لمصر حتى العام الرابع والأربعين لحكم الفرعون أمازيس، دعهم يحضروا إلى هنا شريعة فرعون، وشرائع المعبد والناس" [٥٦] .

اهتم داريوس بالديانة المصرية القديمة إلى جانب اهتمامه الكبير بعبادة إله الفرس الأعظم عندهم (أهورمزدا) ، وأهم ما ينسب إليه في هذا المجال العمل على بناء وترميم

المعابد المصرية وبخاصة معبد الإله أمون في واحة سيوه، وقد تلقب بالألقاب الدينية المصرية مثل ابن رع، ومحبوب آمون، وابن حور، وابن إيزه الذي يعيش إلى الأبد، وقد عُثر في منطقة وادي الحمامات على نقوش تُعد من أكبر الدلائل على اهتمام داريوس بترميم المعابد المصرية القديمة، وتؤرخ هذه النقوش فيما بين آخر سنوات حكم أحمس الثاني (أمازيس) (٥٨٩– ٥٢٦ق. م) آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين، حتى السنة الثلاثين من حكم الملك داريوس الأول [٥٧].

كان الملك داريوس شديد الوله بعبادة الإله (أهورمزدا) إله الفرس الأول فنجده في كثير من النقوش يردد ألفاظاً «فليحفظني أهورمزدا وليساعدني أهورمزدا» لأن صفات هذا الإله في أذهان الفرس تدعو إلى العلم والحكمة، وهو حارس يقظ له الحماية والوقاية والمكافأة والعقاب، وهو أب كل شيء حسن، فهو خالقه، وعرشه موجود في السماء في عالم النور والخلود، ويوجد حوله عدد من الملائكة يتلقون أوامره وينفذونها [٥٨].

يُنسب إلى داريوس الأول اهتمامه بإعادة حفر القناة التي تربط البحر الأحمر بوادي النيل والتي اهتم بشقها من قبله نيكاو الثاني (٦١٠– ٥٩٥ق. م) ثاني ملوك الأسرة السادسة والعشرين، وقد أشارت النصوص المسمارية التي عُثر عليها على لسان داريوس بهذا الخصوص ما يأتي: «إنني دارا الفارسي استوليت على مصر من بارسيا (فارس) وقد أمرت بأن تُحفر هذه القناة على النيل الذي يجري في مصر إلى البحر الذي يصل فارس، وقد حُفرت القناة كما أمرت، ومرت السفن من مصر عبر هذه القناة إلى فارس بمقتضى رغبتي» [٥٩].

لقد كان الدافع وراء حفر تلك القناة تيسير وصول سفن الجزية إلى فارس عن طريق البحر الأحمر والمحيط الهندي ثم الخليج العربي، وقد وصل عدد السفن المارة من هذه القناة حوالي أربع وعشرين سفينة سنوياً، وكذلك كان من أسباب إنشاء هذه القناة أيضاً التقليل من النشاط التجاري الملاحي المتجه نحو إغريق نقراطيس في غرب الدلتا، كذلك يمكن اعتبار القناة مرحلة من مراحل تنشيط التجارة البحرية المتبادلة مع الهند [٦٠].

يذكر بعض الباحثين أنه على الرغم من المعاملة الحسنة من بعض حكام الفرس لمصر فإن المصريين تحملوا– بنوع من المعاناة والصبر– هؤلاء الملوك وأعمالهم، فقد لاحظ المصريون بأن ثروات بلادهم تنقل إلى فارس وبخاصة بعد شق القناة، ويذكر أحد الباحثين بأنه في نصوص محاجر الحمامات ذُكر أن الأحجار التي كانت تقطع هناك تستخدم لصالح الاحتلال الفارسي، كذلك قام المصريون بثورة في الدلتا عام ٤٨٦ق.م كان أهم أسبابها فداحة الضرائب، فقد وُجدت إشارة في أحد الخطابات المكتوبة إلى استيلاء

الثائرين على شحنة سفينة فارسية محملة بالغلال التي تجبى من الأهالي، لكن داريوس الأول توفي قبل أن يُخمد هذه الثورة في العام نفسه ٤٨٦ق. م وكان عمره قد ناهز الأربعة والستين عاماً، حكم خلالها ستة وثلاثين عاماً [٦١].

٣ـ إكسركسيس الأول:

اعتلى إكسركسيس الأول العرش الفارسي مباشرةً عقب وفاة داريوس عام ٤٨٥ق.م وفي ثاني سني حكمه اتجه إلى مصر لتحقيق غاية راودت أباه داريوس قبل وفاته وهي الثأر من المصريين لمساندتهم لبعض الثورات ضد الوجود الفارسي، وكذلك ثأراً للهزيمة التي مُنيت بها القوات الفارسية على يد اليونان بمساندة المصريين في ماراثون عام ٤٩٠ق. م، وبالفعل لم يجد صعوبة تذكر في إنجاز تلك المهمة [٦٢]، وعين إكسركسيس أخاه أخمينس (Akmienes) والياً على مصر، وأطلق يده فيها قبل عودته إلى فارس، فأنزل بها أشد أنواع القسوة والعبودية، ووصل به الأمر أنه اختلس من المعابد المصرية ما غفل عنه قمبيز من قبله [٦٣].

لقد أرسل أخمينس كل بحار وجندي محارب من مصر إلى أخيه أكسركسيس ليشتركوا في الحرب ضد اليونان، وبخاصة بعدما أظهر المصريون مهارة عالية في مجال الإبحار وبخاصة في معركتي سلاميس وأرتميس البحريتين عام ٤٨٠ ق. م وكذلك الشجاعة الفائقة للجندي المصري في معركة بلاتيا، بالتالي كانت الحروب الفارسية اليونانية هي العلامة المميزة لفترة حكم أكسركسيس، وبالتالي أهمل شؤون مصر الداخلية [٦٤]، وهذا ليس دليلاً على إهماله للعالم القديم المجاور، فقد ذكر بعض المؤرخين أمثال هيرودوت أن بابل لم تسلم من شرور الفرس في عهد أكسركسيس فيذكر: «أن أكسركسيس أتي منكراً في بابل، لم يأته ملك من ملوك الفرس السابقين.. فقد أمر بإبعاد تمثال بعل مردوك من المعبد، ومن ثم نجد أن ملكية بابل قد أُلغيت... » [٦٥].

اغتيل إكسركسيس بعد الهزيمة التي منى بها الأسطول الفارسي أمام البحرية اليونانية، ليعتلي العرش من بعده أرتاكسركسيس الذي ينسب إليه وإلى إكسركسيس نشاطهما المفرط في قطع أحجار وادي الحمامات، ونقلها إلى فارس عبر البحر الحمر عن طريق القناة التي حفرها داريوس لتُستغل في بناء المباني المهمة كالقصور والمعابد [٦٦].

٤ـ أرتاكسركسيس الأول:

تميزت فترة حكم الملك أرتاكسركسيس باندلاع العديد من الثورات ضد الفرس في أنحاء مصر القديمة المختلفة ولقيت هذه الثورات والتمردات دعماً كبيراً من العدو اللدود

للفرس، ونحن نشير إلى اليونان، وبخاصة أثينا التي سعت جاهدة إلى وضع دعائم قوية في مصر القديمة من أجل إنعاش المصالح اليونانية بها، وقد باءت محاولاتها بالفشل إذ استطاع الفرس القضاء على تلك الثورات، محاولين إعادة الاستقرار إلى مصر القديمة، ففتحوا أبواب مصر على مصراعيها للاستفادة الأجنبية، حتى لليونانيين أنفسهم (٦٧) . وفي خضمِّ هذه الأحداث أُغتيل الملك أرتاكسركسيس في ظروف غامضة، ويذكر مهران بأنه قُتل بيد أخيه لكن لم يحدد أيهم بالضبط، غير أنه من المرجح أن يكون داريوس الثاني، أو على الأقل بتدبير منه مما مكَّنه من اعتلاء عرش فارس عام ٤٢٣ق. م (٦٨) .

٥ـ داريوس الثاني:

لم يأت داريوس الثاني إلى الحكم مباشرةً بعد اغتيال أرتاكسركسيس وإنما جاء بعد سلسلة من الاغتيالات الملكية، فقد كان أكسركسيس الثاني هو الوريث الشرعي، لكنه اغتيل عام ٤٢٤ق. م على يد أخيه سوجديانوس (Sogdyanus) الذي اعتلى الحكم مؤقتاً، لكنه تعرض للاغتيال أيضاً على يد داريوس الثاني في السنة نفسها، وبالتالي أُعتبر داريوس الثاني الخليفة الحقيقي لأرتاكسركسيس؛ لأن من سبقوه لم يُعمروا طويلاً، إن اعتلاء ثلاث ملوك فارسيين عرش فارس خلال سنة واحدة، إنما يدل على أن أمور فارس الداخلية دخلت مرحلة التضعضع، وهذا بالضرورة سينعكس على الأقاليم التي كانت تابعة للفرس، ومنها مصر القديمة (٦٩) .

حاول الملك داريوس الثاني منذ توليه الحكم في فارس جاهداً تهدئة الأوضاع في مصر القديمة، لكن بوادر الثورة طفت على السطح حتى أصبحت واضحة وشاملة عام ٤١٠ق. م فكان أول من احترق بلهيبها اليهود (*) الذين ومنذ دخولهم إلى مصر هرباً من الآشوريين، أصبحوا يعيشون في تجمعات، فكونوا حامية في الفنتين (أسوان) وبالرغم من حسن معاملة المصريين لهم، فإنهم ساعدوا الفرس في العديد من المرات في القضاء على الثورات المصرية، فكان ذلك بمثابة المحرك الأكبر لخلق هذه العداوة التي أنتجت ثورة ضد حامية اليهود في الفنتين في منطقة قصر أنس الوجود، حيث دمر الثائرون معبداً لليهود هناك عام ٤١٠ ق. م فتشتت اليهود وانتشرت الثورة في كل أنحاء مصر، وبقى المعبد مدمراً ثلاث سنوات على الرغم من الجهود المبذولة لإعادة إعماره، وقد عُثر في خرائب الفنتين على رسائل مكتوبة بالآرامية تذكر بأن الثورة قامت في العام الرابع عشر من حكم الملك داريوس الثاني، وذُكر فيها أنه في العام نفسه أُحرق المعبد اليهودي، وأن شخصاً يُدعى (فيدارانج) (Vedarang) هو من قام بحرقه، وربما يكون من أصل كوشي (٧٠) .

استقلال مصر عن الفرس:

عاشت مصر القديمة فترة تخبط دائم بين هدوء وعاصفة إبان حكم الأسرة السابعة والعشرين الأجنبية الفارسية، إذ تهب الثورات متقطعة بالرغم من وجود الشعور القومي المتنامي لدى المصريين من أجل الحصول على الاستقلال الذي لم يتحقق حتى عام ٤٠٤ق. م، هذا التاريخ الذي يعد البداية الحقيقية لفترة جديدة من فترات التاريخ الفرعوني وبداية لحكم أسرة فرعونية مستقلة سُميت بالأسرة الثامنة والعشرين التي لم تستمر طويلاً، فانتهت عام ٣٩٩ق. م لتخلفها أسرتان مصريتان، التاسعة والعشرون والثلاثون اللتان حاول فيها الفرس خلالهما استعادة السيطرة على هذا الإقليم الضائع ذي الأهمية البالغة، بالتالي يمكن أن نعتبر الغزو الفارسي لمصر القديمة غزواً ذا مرحلتين، ذلك أن الأسرة السابعة والعشرين كانت فارسية، ثم جاءت بعدها ثلاث أسر مصرية ثم عاد الفرس ليؤسسوا أسرة فارسية جديدة لم تُعمَّر طويلاً.

بعد نهاية الحرب مع إفاجوراس (Evagoras) ملك سلاميس (في قبرص) بدأ الفرس يستعدون للقيام بحملة جديدة هادفين من ورائها إعادة السيطرة التامة على مصر القديمة، وقد طلب الفرس من أجل ذلك من اليونان العمل على استدعاء خابرياس الأثيني (Khabryas) ، ومن معه من قوات من مصر، فإن هذا الأمر لا يُعد دليلاً واضحاً على أن الحرب الفارسية الثانية على مصر وُلدت ساعتها، ذلك أن الأمور لم تتهيأ بعد نتيجة أسباب أهمها: عمل اليونان على تحرير مدينة طيبة اليونانية عام ٣٧٩ق. م، وكذلك النشاط البحري الواسع الذي أظهرته أثينا، الذي أدى إلى قيام إمبراطوريتها الثانية عام ٣٧٧ق. م، إضافة إلى الاستعدادات الحربية التي عملت فارس على توفيرها للقيام بالحملة على مصر، كل ذلك تطلب وقتاً طويلاً [٧١] ، وفي هذا الشأن يذكر سليم حسن: أن الحملة الفارسية على مصر لم يكن الاستعداد لها قد اكتمل إلا في عام ٣٧٤ق. م، أي بعد خمس أو ست سنوات من موت أخوريس آخر ملوك الأسرة التاسعة والعشرين [٧٢] .

وبما أن نقطانب الأول (٣٨٠– ٣٦٢ق. م) أول ملوك الأسرة الثلاثين كان على علم بنوايا الفرس تجاه مصر، فإنه لم يتوان عن الاستعداد والتأهب، لذلك جهز عساكره وأمدهم بالمعدات الحربية متأهباً بذلك لرد الفرس عن بلاده، وفي السنة الثانية من حكمه هاجمته قوات التحالف الفارسية الأثينية براً وبحراً بقيادة فرنایاز (Frnayas) الفارسي وأفيكراتيس (Afikratis) الأثيني [٧٣] ، وقد قدر الباحثين الجيش الفارسي في هذه الحملة بحوالي مائتي ألف (٢٠٠٠٠٠) جندي فارسي، وعشرين ألف (٢٠٠٠٠) من مرتزقة الإغريق الذين كان أكثرهم ممن عادوا مع خابرياس الأثيني من مصر، وبالتالي فهم على

دراية كافية بالأراضي المصرية، يضاف إلى الأعداد السابقة ثلاثمائة سفينة (٣٠٠) من ذوات الثلاث صفوف من المجاذيف، ومن البديهي أن هزيمة جيش كهذا تتطلب الاستعداد التام والتجهيزات الكثيرة، وهذا بالضبط ما فعله نقطانب الأول [٧٤] .

نزلت قوات التحالف في منطقة –أشتوم– (أم فرج) عند البحر المنديسي (الفرع المنديسي للنيل) ، وعلى السواحل التقى التحالف الفارسي الأثيني بالجنود المصريين المكلفين بحماية السواحل وهزموهم، ليحدث بعدها خلاف بين القائدين بشأن احتلال مدينة منف، حيث رأى أفيكراتيس أن يزحف عليها ليحتلها، لكن فرنایاز عارضه في ذلك، وهذا الأمر أتاح الفرصة لنقطانب الأول للاستعداد والزحف عليهم والانتصار فيما بعد بشكل كبير على مقربة من منديس، وحصنت مدينة منف، وطارد نقطانب الأول بقايا فلول ذلك التحالف الذي لجأ معظم جنوده للاحتماء في السفن بالنيل، وكان ذلك فترة الفيضان، فأُجبروا على الخضوع والإذعان، ويذكر أحد الباحثين بأنه قد مات منهم خلق كثير جداً وتخلصت البلاد من شرهم، وعلت كلمة نقطانب الأول، وظهر نبله وارتاحت البلاد بنهضته بعد أن ذاقت من الفرس العذاب المرير لمدة خمسة وعشرين عاماً [٧٥] .

إن الإمبراطورية الفارسية كانت تعاني من اتساع رقعة أراضيها، وكان نظام السترابيات (الولايات) الذي اعتمدت عليه قد زاد الطين بلة بالنسبة للفرس، وبخاصة أن ارتاكسركسيس الثاني تقدم في السن، وبدأ عجزه يظهر في لم شمل أقاليم الإمبراطورية، مما دعى بعض الولايات أمثال كبادوكيا وكاريا وأقاليم الإمبراطورية الحدودية إلى محاولة الاتجاه نحو وضع أشبه بالحكم الذاتي مع حلول عام ٣٧٠ق. م، وكان إقليم كبادوكيا أول من أعلن التمرد عام ٣٦٨ق. م ثم بعد ذلك إقليم فريجيا، ثم إسبرطة وأثينا، وبالتالي أصبحت كل الأقاليم الغربية من الإمبراطورية والمحصورة بين أرمينيا وفينيقيا على وشك الانفصال عن جسم الإمبراطورية، وفي أقل من خمس سنوات جاءت ثورة الولايات الكبرى التي بلغت أوجها أواخر أيام أرتاكسركسيس الثاني، غير أن ذلك لا يُعد مؤشراً على انهيار الإمبراطورية الفارسية التي ما زالت حتى ذلك الحين تسيطر على الجزء الأكبر من ولاياتها، وقد استطاعت مصر في ذلك الوقت التفاوض مع كل الولايات الثائرة فأمدت بعضها بالمال، وبخاصة بعد أن أعادت اتصالاتها عام ٣٦٦ق. م بكل من إسبرطة وأثينا [٧٦] .

ذكر عبد العزيز صالح أن حركة العمران قد اتسعت في عهد نقطانب الأول لتشمل المنطقة من شمال الدلتا حتى جزيرة فيلاي جنوبي أسوان [٧٧] ، وقد أشاد مهران بمجد مصر القديمة بعد انجلاء الغمة الفارسية عنها فترة حكم نقطانب الأول، فذكر أن: « الفن قد ازدهر في مصر القديمة وتقدمت التجارة الخارجية، ونشط العمران في المعابد» [٧٨] . وبعد أن توفي نقطانب الأول انفرد ابنه تاخوس بالحكم عام ٣٦١ق. م، فاتبع أسلوباً

مغايراً تماماً لأسلوب والده في علاقته مع اليونان فأعاد صلته المباشرة مع إسبرطة وأثينا، واعتمد عليهما في تجنيد أعداد هائلة من الجنود المرتزقة مقابل مبالغ مالية هائلة [٧٩] . في هذه الاثناء بدأ الفرس في العمل حثيثاً من أجل النيل منه، ففشلوا في العديد من المرات، غير أن تاخوس تعرض للخيانة من قبل أخيه الذي تركه نائباً عنه في مصر، فترة فتوحاته، هذا الذي ألب الأمور ضد تاخوس، فأراد بذلك الحكم لنفسه ولابنه من بعده، وقد علَّق مهران على حب أمراء الدلتا للحكم بقوله: «ففي مصر كان الأذى يأتي من وراء نزوة الحكم وشهوة السلطان التي أُصيب بها أمراء الدلتا في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الكنانة –مصر– وقد دفعت مصر ثمنها غالياً» [٨٠] .

ونتيجة لكل هذه الأحداث انفصلت قوات المرتزقة اليونانية عن صفوف القوات المصرية، فتبعثرت آمال تاخوس وجيوشه وأُصيب بالخيبة، ونكاية فيما حدث لجأ تاخوس إلى عدوه اللدود الفرس بعد أن حصل على عفو من الملك الفارسي، فقيل بأنه بقى منفياً في صيدا الفينيقية، غير أن بعض الباحثين أكدوا بأن الملك الفارسي أعد تاخوس وأرسله إلى مصر ليكون نائبه فيها، غير أن الأجل وافاه في طريقه إليها [٨١] .

اعتلى نقطانب الثاني عرش مصر عام ٣٦٠ق. م، فاستغل الوقت الذي كان فيه الملك أرتاكسركسيس الثالث مشغولاً بفينيقيا، فسارع لمحاولة إقرار الأمن في أرجاء مصر القديمة، فاتجه إلى إقامة محطات أمنية في أرجاء مختلفة، وعمل على إقامة المعابد في العديد من المناطق، فنعمت بذلك مصر بالهدوء والسلام فترة ناهزت الخمسة عشر عاماً، وقيل إثنى عشر عاماً، وكانت هذه الفترة قابلة للزيادة لولا تدخل نقطانب الثاني في ثورة قامت في فينيقيا عام ٣٤٤ق. م حيث أمدها بالمتطوعين، مما أثار حقد الملك الفارسي الذي عقد العزم على غزو مصر مرة أخرى [٨٢] .

وعمد أرتاكسركسيس إلى تجنيد أعداد هائلة من المرتزقة اليونان، لكي يحقق بهم مساعيه في مصر، فبدأ بصيدا فأصاب منها ما أصاب، واحتلها بعد الخيانة التي تعرض لها جيشها من ملكهم تيناس (Tinas) الذي أفشى بأسرارهم لأرتاكسركسيس الثالث فسلمهم بذلك له، ولم ينج هو أيضاً بل قُتل على يد أرتاكسركسيس الثالث، وقد استبسل أهل صيدا في الدفاع عنها حتى قِيل بأنهم أحرقوا سفنهم حتى يقطعوا على أنفسهم خط العودة فإما النصر وإما الموت بكرامة، وقد لاقت صيدا من الدمار والخراب على يد الفرس الشيء الكثير، مما دعا المدن الفينيقية الأخرى إلى التسليم [٨٣] ، ومن هنا بدا الباب مفتوحاً على مصراعيه للعودة الفارسية إلى الأمجاد باحتلالها لمصر في غزو اعتبره الباحثون غزواً ثانياً لها.

خاتمة:

توصل الباحث في بحثه الموسوم ب (مصر القديمة والغزو الفارسي الأول) إلى نتائج عدة أهمها:

١. إن طبيعة بلاد فارس منذ القدم كانت عاملاً أساسياً في تكوين شخصية الفرس، وأسهمت بشدة في توجيه سياسات الإمبراطورية الفارسية نحو الغزو وتوسيع رقعة حدودها الجغرافية.

٢. إن الشخصية السياسية الفذة أدَّت دوراً أساسياً في بناء قوة الشعب الفارسي ووحدته، وتمثلت تلك الشخصية في شخص قورش، الذي– ورغم سياساته الاستعمارية– لم نجد ما يفيد بأنه كان ينوي غزو مصر.

٣. إن ظهور ملوك بعضهم متسلط، وبعضهم الآخر ضعاف الشخصية، أدى إلى زيادة تحامل المصريين على الوجود الفارسي، وأصبحت الثورات سمة أساسية تظهر بوضوح على الساحة المصرية القديمة، تهدف في مجملها إلى التخلص من الهيمنة الفارسية، ولو باستبدالها بهيمنة أخرى، كما حدث مع الإسكندر المقدوني مثلاً.

٤. لم يكن الاستعمار الفارسي استعماراً حضارياً ثقافياً، بقدر ما كان يهدف إلى استغلال مصر أيما استغلال، باعتبار أنها مصدر مهم من مصادر الغذاء، متمثلاً في القمح، أو حتى لأجل استغلال محاجرها التي تُنقل حجارتها إلى بلاد فارس لاستغلالها في بناء القصور الملكية هناك.

٥. كان الغزو الفارسي الأول لمصر القديمة غزواً أطول بكثير من الغزو الثاني لها. وقد كان ضعف ملوك مصر سبباً رئيساً في أن أعاد الفرس غزوها مرة أخرى، غير أن طموح الإسكندر المقدوني كان جداراً منيعاً وسبباً في توقف المسيرة الاستعمارية للإمبراطورية الفارسية.

الهوامش:

(*) جبال القوقاز: اصطلح بعض المؤرخين على تسميتها باسم جبال سليمان أيضاً، راجع: علي. رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته إلى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، ج١، إيران– العراق، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د. ت، ص٤٧.

١. علي. رمضان عبده، المرجع نفسه، ص. ص٤٧– ٤٨.

٢. عصفور. محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٦٥. وكذلك دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها، (تر: عبد النعيم محمد حسنين) ، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م، ص. ص١٠– ٢٠.

٣. علي. رمضان عبده، الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، إيران– الأناضول، كلية الآداب، جامعة المنيا، د. ت، ص١٠.

٤. عصفور. محمد أبو المحاسن، مرجع سابق، ص٢٦٥.

(*) مكلة ميتاني: لم يصل علماء اللغات المتخصصون إلى إجابة موحدة عن أصل الحوريين– الميتانيين حتى اليوم، فلغتهم لا نجد لها شبيهاً بأية لغة أخرى معروفة، وإن كان هناك بعض التشابه البسيط مع اللغة الأوراتية والكلدية، بهذا الخصوص، يراجع، الكاتب: سيف الدين، وآخرون، أطلس تاريخ الحضارات، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق العربي، حلب، ٢٠٠٤م، ص١٤.

٥. عصفور. محمد أبو المحاسن، مرجع سابق، ص. ص٢٦٦– ٢٦٧.

٦. حلمي. أحمد كمال الدين، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج١، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الغزنوي، مؤسسة جراج الصباح، الكويت، ١٩٧٩م، ص. ص١١٤– ١١٨.

٧. عصفور. محمد أبو المحاسن، مرجع سابق، ص٢٦٧.

٨. حسن. سليم، مصر القديمة، من العهد الفارسي إلى دخول الإسكندر الأكبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١٣، القاهرة، د. ت، ص٥٨١.

٩. حسن. سليم، مرجع سابق، ص. ص٢٨١– ٢٨٢.

١٠. ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج١، ج٢، الشرق الأدنى، نشأة الحضارة، (تر: زكي نجيب محمود، محمد بدران) ، القاهرة، د. ت، ص٤٠٩.

١١. سليم. أحمد أمين، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، العراق، إيران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص٣٤٠.

(*) السنسكريتية: هي اللغة الأدبية الهندية القديمة، وكان مصطلح (السنسكريت) قد أعلن عنه النحاة الهنود ويعني (المنجز والمكتمل والصحيح قواعدياً أي لغة المجتمع المتعلم وآدابه) وبالمعنى الواسع تشمل السنسكريتية كل الأشكال والصيغ الأدبية للغة الهندية القديمة ومن ضمنها لغة الأدب الفيدي، وبالمعنى الضيق هي فقط الكلاسيكية المثبتة قواعدها وأصولها في قواعد بانيني (القرن الرابع ق. م) للمزيد من المعلومات، يراجع: الملا. زياد، لغات العالم الحية والميتة، الأهالي للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٩٩م، ص. ص١٦٥- ١٦٦.

١٢. ديورانت. ول، مرجع سابق، ص٤١٥.

١٣. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٤١٥.

١٤. ديورانت. ول، مرجع سابق، ص٤١٠.

١٥. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٣٤٢.

١٦. زايد، عبد الحميد، الشرقم الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق. م، دار النهضة العربية، القاهرة، د. ت، ص٥٩٨.

١٧. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٣٤٢.

١٨. ديورانت. ول، مرجع سابق، ص. ص٤١١- ٤١٢.

١٩. زايد. عبد الحميد، مرجع سابق، ص٥٩٧.

٢٠. المصري. حسين مجيب، إيران ومصر عبر التاريخ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص٥. وللمزيد من المعلومات عن العلاقات القديمة بين مصر وبلاد فارس، يراجع: آل علي، نور الدين، جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر، المركز الثقافي الإيراني بالقاهرة، ١٩٧٨م، ص. ص. ط- ص.

٢١. دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها، مرجع سابق، ص٢٨.

٢٢. واكيم. سليم، إيران في الحضارة، الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٧١م، ص٢٨.

(*) الهخامنيشون: جاءت التسمية نسبة إلى (هخامنش) جد الفرس في عيلام، يراجع: محمد. جميلة عبد الكريم، قورينائية والفرس الإخمينيون، منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٦م، ص٤٠.

٢٣. حلمي. أحمد كمال الدين، مرجع سابق، ص١٢٠.

٢٤. خفاجة. محمد صقر، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٥١.

٢٥. خفاجة. محمد صقر، مرجع سابق، ص٥٢.

٢٦. واكيم. سليم، مرجع سابق، ص٢٩.

٢٧. واكيم. سليم، مرجع سابق، ص٣٠

٢٨. رافع، رفاعة بدوي، خطبة بداية القدماء وهداية الحكماء، المكتبة الدوارية، القاهرة، ١٢٨٢هـ، ص٦٧.

٢٩. حلمي، أحمد كمال الدين، مرجع سابق، ص١٢٣.

٣٠. القرآن الكريم، سورة الكهف: الآية (٨٣) .

٣١. رافع. رفاعة بدوي، مرجع سابق، ص٦٧ نقلاً عن هيرودوت.

٣٢. رافع. رفاعة بدوي، مرجع سابق، ص٨٦ نقلاً عن زنفون.

(*) كيتاسيوس (Ketasius) طبيب إغريقي ولد في كندوس (Kendos) وكان من المتحمسين لقورش وأكثر الملمين بأخباره، يراجع: خفاجة، محمد صقر، مرجع سابق، ص٥٢.

٣٣. خفاجة. محمد صقر، مرجع سابق، ص٥٢، هامش ٢.

٣٤. كامل. وهيب، ديودور الصقلي في مصر، القاهرة، ١٩٤٧م، فقرة ٧٣.

(*) دفن قورش في (بازارجاد) ويطلق على مقبرته اليوم اسم مشهد مادري سليمان (Madri sulaiman) ، يراجع بالخصوص، محمد. جميلة عبد الكريم، مرجع سابق، ص٥٠.

٣٥. حلمي. أحمد كمال الدين، مرجع سابق، ص١٢٢.

٣٦. حسن. سليم، مصر القديمة، ج١٣، مرجع سابق، ص٢.

٣٧. رافع. رفاعة بدوي، مرجع سابق، ص٦٧.

(**) أوجاحار رسن (Udjaharresne) : كان أحد كبار الموظفين في البلاط الفرعوني، وكان مثقفاً وكاهناً في سايس وطبيباً وقائداً للأسطول في عهد أحمس الثاني (٥٨٩– ٥٢٦ق. م) وبسماتيك الثالث (٥٢٦– ٥٢٥ق. م) وقد سجل سيرته الذاتية على تمثال على هيئة ناووس (موجود في متحف الفاتيكان) وقد وضح فيها أنه قام بمساعدة قمبيز على الإلمام بحضارة مصر وثقافاتها، ويقول بأنه بعد ذلك أصبح المشرف والمسؤول عن القصر الملكي، والمختص بإطلاق الألقاب في القصر، خصوصاً لقب الملك (ملك الوجهين القبلي والبحري) ويقال له (مستيورع) يراجع: جريمال، نيقولا، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م، ص٤٧٤. وكذلك يراجع: لالويت، كلير، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، م١، عن الفراعنة

والبشر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٥٢.

٣٨. حسين. أحمد، موسوعة تاريخ مصر، ج١، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٦٢.

٣٩. حسن. سليم، مرجع سابق، ص٢.

(*) الفرما: تقع شرقي مدينة بور سعيد الحالية، وكانت تقع إلى الغرب من الفرع البيلوزي بحوالي ٧ كيلو مترات.

٤٠. زايد. عبد الحميد، مرجع سابق، ص٦٠٩.

٤١. رافع. رفاعة بدوي، مرجع سابق، ص٦٠٩.

٤٢. حسين. أحمد، مرجع سابق، ص١٦٢.

٤٣. Heredotus. III- 13- 15, L. C. L

٤٤. سليم. أحمد أمين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر وسورية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت، ص٢٣٢.

٤٥. هاليت. بوفيل روبن، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة، ومحمد عزير، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٨، ص. ص٨١– ٨٢. وللمزيد من المعلومات عن قمبيز وواحة سيوه يراجع: فخري. أحمد، واحات مصر، المجلد الأول، واحة سيوه، تر: جاب الله علي جاب الله، سلسلة الثقافة الأثرية التاريخية، العدد ٢٠، ١٩٩٣م، ص١١٠.

٤٦. 46Heredotus. III- 13- 15, L. C. L

٤٧. زايد. عبد الحميد، مرجع السابق، ص٦١٠. ويذكر عبد العزيز صالح، بأن كلاً من فيدمان. ودريتون، وبوزنر، يرون بأن كل ما يُعرف عن موقف قمبيز إزاء أبيس هو تأخير دفنه نحو عشرة شهور، لأسباب غير معروفة، وهي فترة أطول بكثير مما تتطلبه عملية تحنيطه، يراجع: صالح. عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج١، ط٣، د. ت، ص٣١٢، هامش ٣.

٤٨. علي. رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، دار النهضة الشرقية، القاهرة، ج٢، ٢٠٠١ف، ص٤٣١.

٤٩. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٣٣٢.

٥٠. علي. رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، مرجع سابق، ص٤٣١.

(*) المن: وحدة قياس للوزن تساوي رطلاً واحداً.

٥١. محمد. جميلة عبد الكريم، مرجع سابق، ص٣١٠. وللمزيد من المعلومات يراجع: خشيم. علي فهمي، نصوص ليبية، دار الفكر، طرابلس، ١٩٧٥، ص٤٣. هامش ٣.

٥٢. مهران. محمد بيومي، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج٣، ط٤، ١٩٨٨م، ص. ص٦٧١– ٦٧٢. وللمزيد عن حكم قمبيز وخلفائه في مصر، يراجع: المصري. حسين مجيب، إيران ومصر عبر التاريخ، مرجع سابق، ص. ص٥– ١٧.

٥٣. زايد. عبد الحميد، مرجع سابق، ص. ص٦٢١– ٦٢٢.

٥٤. المرجع نفسه، ص٦٢٢، وكذلك نور الدين. عبد الحليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣١٧.

وقد ذُكر داريوس الأول حتى في أسفار العهد القديم (التوراة) ، يراجع: الكتاب المقدس، المصدر السابق، سفردانيال، الإصحاح الحادي عشر، ص. ص١٢٨٢– ١٢٨٥.

٥٥. كامل، وهيب، مرجع سابق، فقرة ٩٢.

٥٦. شاروبيم بك. ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٧٧م، ص. ص٢٢٤– ٢٢٥.

٥٧. مهران. محمد بيومي، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، مرجع سابق، ص٦٧٣.

٥٨. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص. ص٣٣٤– ٣٣٥.

٥٩. حسين. أحمد، مرجع سابق، ص١٦٣.

٦٠. خفاجة. محمد صقر، مرجع سابق، الفقرات ١٥٨– ١٥٩، وعن تاريخ شق القناة، يراجع: جورج بوزنر وآخرون، مرجع سابق، ص. ص٢٧٧– ٢٧٨.

٦١. حياة داريوس الأول وأعماله، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٢٥، القاهرة، ١٩٧٨م، ص. ص٣٠– ٤٢.

٦٢. نور الدين. عبد الحليم، مرجع سابق، ص٣٢١.

٦٣. إبراهيم. نجيب ميخائيل، تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، الكتاب الثاني، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٣٣٧.

٦٤. إبراهيم. نجيب ميخائيل، مرجع سابق، ص١٠٩، وكذلك: حتي. فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨، ص٢٤٦.

٦٥. Heredotus. III- 13- 15, L. C. L.

٦٦. حسن. سليم، مرجع سابق، ص١١٠.

٦٧. فخري. أحمد، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٤٦٢، وكذلك: نور الدين. عبد الحليم، مرجع سابق، ص٣٢٣.

٦٨. مهران. محمد بيومي، مرجع سابق، ص٦٧٩.

٦٩. حلمي. أحمد كمال الدين، مرجع سابق، ص١٣٤. وكذلك: محمد. جميلة عبد الكريم، مرجع سابق، ص٩٠.

(*) للمزيد من الإيضاح عن الوضع اليهودي في العهد الفارسي في مصر القديمة، يراجع: حسن. محمد خليفة، التاريخ اليهودي القديم وعلاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص. ص٥٠- ٥٣.

٧٠. الناصري. سيد أحمد علي، الشرق الأدنى في العصر الهلينستي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥- ١٩٩٦، ص. ص٢٥- ٢٦. وكذلك: شكري. أنور، العمارة في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٠ف، ص٤٤٤.

٧١. حسن. سليم، مرجع سابق، ص١٧٩.

٧٢. المرجع نفسه، ص١٧٩. نقلاً عن ديودور الصقلي.

٧٣. حسين. أحمد، مرجع سابق، ص١٦٩.

٧٤. مهران. محمد بيومي، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، مرجع سابق، ص٦٨٦.

٧٥. شاروبيم بك. ميخائيل، مرجع سابق، ص٢٣٣.

٧٦. جريمال. نيقولا، مرجع سابق، ص. ص٤٨٤- ٤٨٥.

٧٧. صالح. عبد العزيز، مرجع سابق، ص٣٢٣.

٧٨. مهران. محمد بيومي، مرجع سابق، ص٦٨٧.

٧٩. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٢٦٧.

٨٠. مهران. محمد بيومي، مرجع سابق، ص٦٨٩.

٨١. حسين. أحمد، مرجع سابق، ص١٧٠.

٨٢. نور الدين. عبد الحليم، مرجع سابق، ص٣٣٢.

٨٣. جريمال. نيقولا، مرجع سابق، ص٤٨٧.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية والمعربة:

١. إبراهيم. نجيب ميخائيل، تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، الكتاب الثاني، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢. آل علي، نور الدين، جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر، المركز الثقافي الإيراني بالقاهرة، ١٩٧٨م.

٣. جريمال. نيقولا، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

٤. حتي. فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد، وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨م.

٥. حسن. سليم، مصر القديمة، من العهد الفارسي إلى دخول الإسكندر الأكبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١٣، القاهرة، د. ت.

٦. حسين. أحمد، موسوعة تاريخ مصر، ج١، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٧. حسين. محمد خليفة، التاريخ اليهودي القديم وعلاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

٨. حلمي. أحمد كمال الدين، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج١، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الغزنوي، مؤسسة جراج الصباح، الكويت، ١٩٧٩م.

٩. حياة داريوس الأول وأعماله، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٢٥، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٠. خشيم. علي فهمي، نصوص ليبية، دار الفكر، طرابلس، ١٩٧٥م.

١١. خفاجة. محمد صقر، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٢. دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م.

١٣. ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج١، ج٢، الشرق الأدنى، نشأة الحضارة، (تر: زكي نجيب محمود، محمد بدران) ، القاهرة، د. ت.

١٤. رافع، رفاعة بدوي، خطبة بداية القدماء وهداية الحكماء، المكتبة الدوارية، القاهرة، ١٢٨٢هـ.

١٥. زايد، عبد الحميد، الشرقم الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق. م، دار النهضة العربية، القاهرة، د. ت.

١٦. سليم. أحمد أمين، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، العراق، إيران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص٣٤٠.

١٧. سليم. أحمد أمين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر وسورية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.

١٨. شاروبيم بك. ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٧٧م.

١٩. شكري. أنور، العمارة في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٠ف.

٢٠. صالح. عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج١، ط٣، د. ت.

٢١. عثمان. أحمد، تاريخ اليهود، ج١، مكتبة الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.

٢٢. عصفور. محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.

٢٣. علي. رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته إلى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، ج١، إيران– العراق، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د. ت.

٢٤. علي. رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، دار النهضة الشرقية، القاهرة، ج٢، ٢٠٠١ف.

٢٥. فخري. أحمد، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٦. فخري. أحمد، واحات مصر، م١، واحة سيوه، تر: جاب **الله** علي جاب **الله**، سلسلة الثقافة الأثرية التاريخية، العدد ٢٠، ١٩٩٣م.

٢٧. الكاتب. سيف الدين، وآخرون، أطلس تاريخ الحضارات، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق العربي، حلب، ٢٠٠٤م.

٢٨. كامل. وهيب، ديودور الصقلي في مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.

٢٩. لالويت. كلير، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، م١، عن الفراعنة والبشر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٠. المصري. حسين مجيب، إيران ومصر عبر التاريخ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

٣١. الملا. زياد، لغات العالم الحية والميتة، الأهالي للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٩٩م.

٣٢. مهران. محمد بيومي، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج٣، ط٤، ١٩٨٨م.

٣٣. الناصري. سيد أحمد علي، الشرق الأدنى في العصر الهلينستي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥– ١٩٩٦.

٣٤. نور الدين. عبد الحليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣٥. هاليت. بوفيل روبن، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة، ومحمد عزير، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٨.

٣٦. واكيم. سليم، إيران في الحضارة، الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٧١م.

ثانياً- المصادر الأجنبية:

1. *Heredotus , III. L. C L. (1)*